النزعة العدوانية في النفسية الاسرائيلية

د. رشاد عبدالله الشامي، **الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية**، الكويت: سلسلة «عالم المعرفة» ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، حزيران (يونيو) ١٩٨٦.

يتألف الكتاب الذي نحن بصدده من خمسة فصول. يعالج المؤلف في الفصل الاول «الشخصية اليهودية في اطار الانعزالية الغيتوية» ويرى ان اليهود عاشوا اقليات منعزلة في بلدان مختلفة وخضعوا لتأثيرات ثقافية ولغوية متعددة ومتباينة، فلم تتكون شخصية يهودية واحدة، ولم يكن هناك ارتباط جغرافي لها، «ومن هنا، فان الجغرافيا لم تكن جزءاً من هويتها، ولم تكن سمة من سمات تراثها الذي تميز بتعدد مراكزه الجغرافية».

وتعود بداية العزلة اليهودية الى مرحلة وجود اليهود في مصر حين كلفهم فرعون بالعمل، فاعتبروا ذلك اهانة وصمموا على الخروج من مصر، وجعلوا «يهوه»، الههم القبلي، ينكل بالمصريين. وفي شرق اوروبا، اتخذت مناطق الانعزال اليهودي تسميات متعددة منها: «الشتتل» اي المدينة الصغيرة، و «الكاهال».

على ان الذاتية اليهودية في عزلتها وعدم ذوبانها في بوتقة القوميات المتواجدة بين ظهرانيها قد نتج عنها بدايات الاشكالات في روسيا القيصرية في الربع الاول من القرن التاسع عشر، عندما فرض القيصر نيقولا الاول التجنيد الاجباري على اليهود، فاخذ اثرياؤهم يتهربون منه بالرشاوى. وجاءت اجراءات القيصر ضدهم قاسية بعد تسلمه دراسة من لجنة روسية خاصة اشتملت على شدة تعصب اليهود الديني، واحتقارهم للاغيار، وتصورهم انهم «شعب الله المختار». وكان من جملة هذه الاجراءات الغاء «الكاهلات»، واخضاع اليهود للادارة العامة، ومنعهم من اتخاذ ازياء خاصة، والزامهم بالخدمة العسكرية لمدة تصل الى ثلاثة اضعاف المدة العادية.

بدأت حياة العزلة اليهودية اختيارية، ثم اصبحت الزامية، اثر صدور نشرة بابوية في منتصف القرن السادس عشر توصي، لاول مرة، بعزل اليهود، اجبارياً، في احياء معينة في مناطق نفوذ البابوية.

نشأت العزلة اليهودية الاختيارية بدوافع محض يهودية، وذلك للمحافظة على الشرائع الدينية وما يتبعها من طقوس تتعلق بالمقابر، والاكل، والمطهر، والزواج، ومن اجل المساعدة المتبادلة، وبسبب الشعور بانعدام الامن لتصورهم بكراهية الاغيار لهم. ونتج عن هذه العزلة الاختيارية، والالزامية فيما بعد، قلة الاختلاط بالمسيحيين، وتزايد الشبهات حولهم، وتدهور المستوى الاجتماعي عندهم، الامر الذي ترك اثراً في وجدانهم وعمّق انفصالهم عن العالم الخارجي؛ وفوق ذلك باتوا يشعرون بهاجس الخوف خارج الغيتو من عالم شرير معادٍ لهم. ولازمهم الاعتقاد بأن الغيتو هو درع الامان لهم. واصبحوا على هذه الصورة «امة» داخل امة لا تجانس بينهما.

لقد كان للعامل الديني الدور الاساس في قيام العزلة؛ كما كان للقواعد الدينية التي فرضها حاخامات اليهود بتشدد، مدعاة لاستهزاء الآخرين، الامر الذي ادى الى المزيد من التشرنق والتحجر الديني، الذي كان له دور حاسم في توجيه الحياة اليهودية، لا سيما بعد تدوين اجتهادات الحاخامات التي عرفت بالتلمود، ونتج عن ذلك المزيد من العزلة، لأن هذه الاجتهادات شددت على مقولة «شعب الله المختار» و «الشعب المقدس»، وهو الامر الذي اشعر اليهود بالتمييز والتفرد والتعالي. ولقد اصبح الكنيس اليهودي يقوم بدور فعال في الحياة الاجتماعية والتعليمية، وعلى الاخص في التوجيه الديني المبني على تدريس اللغة العبرية والتوراة والتلمود، بحيث اصبح النشء يؤمن بأن «شريعة اسرائيل هي ذروة اعمال الرجل اليهودي في حياته ومعيار لمركزه الاجتماعي».

في مثل هذا المناخ الغيتوي تبلورت السمات السيكولوجية الاساسية للشخصية اليهودية «التي عانت نوعاً